

قسم اللغة والأدب العربي\_جامعة أم البواقي\_

محاضرات مادة (الأدب الجزائري) السنة الثالثة ليسانس، تخصص: نقد ومناهج

إعداد الأستاذة: حسناء بروش

يوم: 2021/02/10

المحاضرة رقم: 04

الأفواج: 04-03-02-01

## عنوان المحاضرة: الشعر والتصوف / البداية

إنّ الدارس لشعر محمد العيد لا ينتظر أن يعثر على نماذج غارقة في تصوف حلولي، فالشاعر عاش تجربة التصوف من خلال المناجاة الروحية التي تأتي في رحلات تموج بالابتهاال الذي يرسله صيحات إيمانية، يناجي بها خالقه المنقذ من زيف الدنيا وضلالها الهادي إلى حياة ملؤها النور والحق والصدق، وفي رحلاته تبدو شخصية محمد صلى الله عليه وسلم من خلال نداءات يستعين بها الشاعر في علوية يكابدها قصد شفاعة موجودة ومقام يبتغيه بجوار المصطفى عليه الصلاة والسلام:

يا من جعلت رضاه لي مقصدا وأراه يسعفني بهذا المقصد

هل أنت تسمح بالشفاعة لي وهل في الحوض تفسح لي وتكرم موردي

وفي علويته نقرأ معجم النور والشهادة والشفاعة والضياء، وفيها تغيب ليلي ابن الفارض وصويحباتها كما تغيب حلولية الحلاج واشراقات السهروردي وليس غريبا على الشاعر محمد العيد الذي لا يمارس التجربة في هذا العالم إلا مؤمنا متمسكا بالكتاب والسنة بعيدا عن غلو المتصوفين.

يقول محمد العيد في معرض كشفه لماهية التصوف عنده "إن هذه الصوفية لا أستطيع دفعها وهي صوفية معتدلة تقوم على الكتاب والسنة، وهي لذاك تلتقي مع الفكرة الإصلاحية التي تقوم على الأصول نفسها.

هكذا يكون حديثنا عن تجربة التصوف لدى محمد العيد، وهي التجربة التي تبدو في عوالم تشكلت وفق طابع تصاعدي بداياته تأمل وزهد ونهاياته عزلة وتصوف.

## 1- عالم التأمل:

وما الشعر إلا شعور سما خيالا بإيحائه الساحر

يهز النفوس بتياراه فتسمو إلى الأوج كالطائر

وتسبح في عالم شامخ على الأرض من إفكها طاهر

بهذه السمة الإيمانية تدخل عالم التأمل لدى محمد العيد وهو عالم علوي مؤيد ببدايات شعرية سائلة رافضة يزكيها زمن الشباب المؤيد بثقافة وطنية دينية ومقرون أبدا بلمح الواقع الذي عاش فيه محمد العيد.

والتأمل الحائر عند محمد العيد ذو بدايات أرضية متسامية تثرى وفق رؤية متوترة تناقضت من حولها الأزمان والألوان والأشياء هكذا نقرأ في قصيدته "يا دار":

بيض وسود وأخيار وأشرار  
كم تحتوين على الأضداد يا دار  
العرش والفرش والأحداث بينهما  
خير وشر فأقلل وإكثار  
والليل والصبح والإنسان عندهما  
نعسان مستيقظ والماء والنار  
يا دار هل فيك من هاد ليرشدني  
فإنني مستريب فيك محتار  
همي تقسم أشطارا ولن تجدي  
من همه مثل همي فيك أشطار  
يعروه خفض ورفع في تنقله  
كأنه كلاً يذروه إعصار

والتوتر عند الشاعر قصير لا تتعدى مسافته أبيات من القصيدة الواحدة، هكذا نقرأ في قصائد التأمل عنده إذ ما تلبث الحيرة أن تبلغ قيمتها حتى يعقبها الإيمان الذي يعد الأصل في كينونة الشاعر فيلجمها عن السؤال الكوني أو يبررها بمسوخ إيماني أساسه نشدان الحقيقة، ثم يحيل كل ذلك في الأخير إلى بارئ الكون بهديه ترتاح النفوس الحائرة:

تبارك الله هذا الكون معترف  
بأن صانعه رحمن قهار  
وقوله: تبارك رب العرش لست بملحد  
أحاول طمس الحق بالشبهات  
ولكن وجداني يتم بحسرة إلى القلب أو يوحى له بشكاة.  
فيكسب من مزن الحقيقة سلسلا  
وينبت في روض النهى زهرات.

## 2- عالم الزهد:

إن التأمل سلوك العارفين الذين يمارسون الحياة وفق السؤال الذي يرشدهم إلى الحقيقة الصافية الخالية من التواكل المفضي إلى الجحود.

وكذلك فعل محمد العيد حين تأمل سائلا فاهتدى إلى إجابات فرضتها ثقافته الدينية ومنها أن الدنيا دار زوال. وأن الفائز فيها من سلك سبيل الصالحين الذين تزودوا بخير الزاد لأخراهم:

تجهد النفس عانيه في المنى غيروانيهِ

تتمنى وإنها في التمني لجانية

يهدم الدهر كل ما كانت النفس بانيهِ

أيها الحالم انتبه إن دنياك فانيهِ

وفي زهدياته لا ينسى أبدا أن يوجه الخطاب إلى نفسه فهي أولى بسلوك روعي يجب أن تسلكه.

هجدت فضاء حظي في جهودي ولم أقض اللبانة من وجودي

رقدت فضاء في الأحلام عمري كذلك تضيع أعمار الرقود

أؤمل أن أرى حظي كبيرا من الحسن ونجمي في صعود

فيا نفسي عن الكدرات عفي وعودي للصفاء المحض عودي.

### 3-عالم العزلة:

يعاني الكثير من الأدباء والشعراء وأولى الرأي الثاقب في واقع يجبرهم على الانتماء المشكل في الفكري والسياسي... المزيف وفي المعاناة يحاول هؤلاء أن يجدوا لأنفسهم صوامع يفرون إليها هروبا بعقيدتهم وفكرهم فيعتزلون فيها ويمارسون من خلالها حياتهم وفق روح تصعد بهم راجية النقاء والطهر، متمنية الخلاص من شوائب البشر ومن رجسهم وكذلك فعل محمد العيد في عزلته الطويلة التي امتدت لفترات طويلة شملتها مجموعة من الأسباب:

1-يُمكن السبب الأول في ميل الشاعر الفطري نحو العزلة والتصوف كما يقول عنه أحمد سحنون: إن محمد العيد رجل صوفي ومن شروط الصوفية الاعتزال.

وتصحب هذا الإحساس أسباب نفسية وروحية ذكرها الدكتور أبو القاسم سعد الله. ومنها أن الشاعر محمد العيد "قد تعرض لتجربة قاسية جعلته في حيرة وشك" وأن "الجو قد تكدر بينه وبين من لم يقدرُوا جهاده وفنه وخاب أمله واعتزته أزمة أثرت عليه تأثيراً جاداً جعلته يصمت حيناً ثم يتجه اتجاهاً صوفياً بشعره ويختار الهروب من الناس والأصدقاء.

والمشكلة في عزلة محمد العيد أنها آلت به إلى الصمت الذي صار ظاهرة عنده يمارسها في العزلة كما التصوف تماماً. إنها سمة التجربة المغربية لدى محمد العيد إذ تختفي وتضمحل كلما حل بالشاعر مدد روعي ونفسي وفي مقابلها يبدو محمد العيد المتصوف الزاهد البعيد عن خلجات الشعر الممارس لخلواته بعيداً عن الناس.

فالتصوف عند محمد العيد لا يأتي إلا صامتاً كما ذكرنا، فالشاعر يمارس رحلاته الخلوية في خشوع وصمت بعيداً عن الصوفية الشعرية التي لا تعثر عليها في شعره إلا إشارات ورموزاً دالة على فكر صوفي نهل منه محمد العيد، فالتصوف إذن في شعره لا يتعدى جملاً شعرية تبدو للقارئ في بيت أو بيتين من قصيدة طويلة ثم تختفي فجأة حيث ينافسها الفكر الإصلاحية فيلجمها وتبعاً لهذا فإن تجربة التصوف عند محمد العيد الشاعر لا تقوى على أن تشكل الموضوع الذي ينمو وفق سمو روعي يبلغ عالم الشهود.

## المراجع المعتمدة:

-عمر أحمد بوقرورة: دراسات في الشعر الجزائري المعاصر.